الجزء الثالث عشر　　　　المجلد الاول

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ و٢ شباط سنة ١٩٠٩

المال بازاء الجمال

(التتمة)

— ٧ —

ولما دخل الخواجا ماير قاعة اللعب طلب زجاجة من الوسكي وجلس يشرب ليسرّي ما به من القلق وبعد ان فرغ من الشرب قام فانضمَّ الى جمهور اللاعبين

وكان بين الحضور رجل يقال له الدكتور ريخمان وهو احد المحامين في برلين غير انه اتخذ المحاماة حرفةً له يستتر وراءها دهاءه ومكره وافعاله السوداء وهو فضلاً عن ذلك كان شديد الولع بالميسر بحيث كان يقضي اكثر ساعات نهاره وليله في بيوت القمار . وكان

الخواجا ماير يحبهُ ويركن اليه في قضاء كثير من المهام في مقابلة مقادير كبيرة من المال

وكان ريخمان في هذه الليلة قبل مجيء المثري العظيم قد ربح من القمار بخلاف عادته ارباحاً طائلة فأبرقت اسرته وطفح وجهه حبوراً واراد ان ينهض عن مائدة اللعب · غير ان ماير أبى عليه ذلك واضطره الى مواصلة اللعب فرضخ وفي يقينه انه سيضمُّ ايضاً الى ارباحه تلك الليلة مقداراً آخر من مال الغني غير ان آماله لم تتحقق لانه شرع يخسر من ارباحه شيئاً فشيئاً حتى خسرها جميعها وخسر فوقها نحو عشرين الف مارك فابتأس وشقّ عليه ذلك كثيراً · بيد ان الخواجا ماير طمأنه بقوله — لاتبتئس ياصاح فاني معوّض عليك خسارتك

ولما انتهى اللعب اقتاده الى مكان منفرد في القاعة وقص عليه ما وقع له مع ليزا وقال اريد منك ان تجهد نفسك لتطلعني غداً او بعد الغد على تفصيل حياة هذه الفتاة وعلاقاتها لعلَّ في ذلك ما يوضح سبب نفورها مني وازدرائها بي وعليك ان تدبر واسطة فعالة لقهرها وامتلاكها ولك مني في مقابل ذلك احسن مكافاة

فقال المحامي — كن براحة بال يامولاي فساجتهد في ذلك لتحقيق امانيك وسازيل من طريق الحصول علَى من احببتها كل صعوبة

قال — وهل انت في حاجة الى المال الان ؟

قال — نعم فيلزمني مبلغ خمسين الف مارك لوفاء بعض ديوني

قال — حباً وكرامة واذا لزمك اكثر فلا تخف عني شيئاً . ثم اخرج من جيبهِ ورقة مالية بالمبلغ المطلوب ودفعها اليه . فتناولها ريخمان رهو يخفي في صدره سرورا عظيماً

ثم قام ماير فودعه وخرج من الملعب فامتطى عربته وعاد الى بيته وذهنه مضطرب وافكاره مشغولة بليزا

—٨—

وفي صباح اليوم التالي نهضت ليزا من رقادها كعادتها كانه لم يحدث لها شيء في ليلة امس لاعتقادها بان الخواجا ماير رجل مريض في عقله فلا يليق بها ان تهتم بما صدر منه نحوها وبعد ان تناولت مع والدتها طعام الصباح جلست في غرفتها وشرعت في الكتابة كعادتها ولم تكد تجمع افكارها وتكتب بعض اسطر حتى دخلت عليها والدتها والبغتة بادية في وجهها وقالت — هلمي يا ليزا الى غرفة الاستقبال فقد زارنا الان الخواجا ماير صاحب الملايين

فاصفرت ليزا وقالت — واي شيءٍ يريد هذا الرجل عندنا افلم تسأليه يا اماه ؟

قالت — لم اساله وانما هو القى الي كلاماً ادهشني للغاية فقد قال لي انه يريد ان يتخذك زوجةً لهُ

فارتعدت ليزا وقالت — لعلكِ تمزحين يا اماه او انت واهمة

قالت – كلا بل هي الحقيقة أنقلها اليك كما سمعتها من فمهِ

فنهضت ليزا وذهبت الى حيث كان الزائر وابتدرته قائلة –

ماذا تريد مني يا خواجا ماير ؟ انا اعتقد بان والدتي لم تفقه مطلوبك

قال – قد جئت ايتها الآنسة اللطيفة اسأل يدكِ فمنّي عليَّ بها وعامليني بالرأفة والشفقة

قالت – اما انا فلا يمكنني ان اجيب طلبك

قال – ولِمَ ذاك

قالت لانك تهينني بهذا الطلب . فانت لم تتعرف بي الا امس والان جئت تطلب يدي بعد ان اجريت ما اجريته الليلة الفائتة مما لا يقدم عليه العقلاء والادباء

قال – ارجوكِ ان تصفحي لي ما حدث لان ذلك لم يصدر الاّ عن تأثير الخمر في دماغي

قالت – حسن فلو انك جئتني اليوم نادماً على ما حصل واتيتني غداً طالباً يدي لكنت أُبيت عليك ذلك ايضاً ولكن بصورة ألطف . والخلاصة اني امتنع عن اجابة طلبك وهذا كل كلامي

فصعد الدم الى وجه الغني فصرَّ باسنانه ثم قام وخرج وهو كالجمل الهائج . وعادت ليزا فوجدت امها بانتظارها فاخبرتها بما حدث

فقالت الام – عجباً وكيف هام بكِ هذا الغني العظيم من اول نظرة

قالت – انه يا اماه مريض في عقله وليس لملايينه ان تشفيه من دائه

قالت — ان الله يابنيتي قد وهبكِ من العقل والادراك ما لا تحتاجين معهُ الى النصح والارشاد فليلهمكِ الله الصواب وليباركك ِ. ثم قبلتها وخرجت وهي تهز راسها متعجبة. وعادت ليزا الى شغلها كأنه لم يكن شيء

—٩—

اما ماير فالتقى في مساء ذلك النهار بصديقه الدكتور ريخمان ودار بينهما الحديث التالي :

ماير — هات اخبرني ماذا علمت من اسرار هذه الفتاة

ريخمان — قد علمتُ يا سيدي انها لم تعاملك بذاك الجفاء الا لانها مخطوبة لفتى يقال له فريتس وهو برتبة ملازم

ماير — وماذا ارتأيت ان تفعل الان لنيل المرام ؟

ريخمان — أرى ان احسن واسطة هي طلبهُ للمبارزة

فجحظت عينا الغني وقال — تبًّا لهذا الرأي ما اسخفه ! وهل يخطر في بالك اني ارضى بمبارزته ؟

قال — اذا كنت انت تأبى ذلك فلا اسهل من ايجاد شخص آخر يقوم عنك بهذا الامر

قال — وهل رايت من نستطيع ان نعتمد عليه في هذه المهمة الخطيرة ؟

قال — نعم وهو أمهر مبارز في كل برلين

قال — ومن هو ؟

قال — هو الفتى هر برت فانه شديد العضل مفتول الساعد يخشاه كل المبارزين و يعتبرونه رئيسهم في هذا الفن فهو لن يُغلب ابداً

قال وهل افتكرت بسببٍ للمبارزة ؟

فضحك المحامي وقال — لا اسهل من ذلك . فانني سادعو غداً هر برت وادلهُ على الشخص الذي يضطرّ الى مبارزته فياخذ باتباعه وترصُّده والتحرُّش به حتى اذا بدا لهُ اقل حادثة يطلبه حالاً للبراز ونصل الى مرغوبنا من اسهل الطرق

فسر الغني وظهرت عليه لوائح الاستبشار وقال — بورك فيك ما اغزر مادتك واكثر دهاءك وهل انت ضمين بان يرضى هر برت باقتراحك عليه ؟

قال — اعلم ياسيدي بان هر برت هذا من اشقى شبان برلين فهو سكير ومقامر ومبارز وليس لاحدٍ ان يفوقه او يمتاز عليه بشيءٍ من هذه الامور وليس قياده بيد احد من ذويهِ لانه ترك والدته وجعل يعيش لوحده على هواه وهو لهذه الاسباب يحتاج الى المال كثيراً لان ديونه لا تُحصى وحالته حرجة جداً فان نحن دعوناه ووعدناه بوفائها جميعاً واشترطنا عليه في مقابلة ذلك مبارزة خطيب الفتاة التي احبتها فلا يحجم عن القيام بهذا الامر ولا يلبث ان ينيلنا بغيتنا

قال ـ اني أُفوض اليك الامر فدبر ما شئت وانا مستعد ان أفي جميع ديونه واعطيه فوق ذلك مبلغاً حسناً من المال يكفل له رخاء العيش فاستدعه وخذ عليه الشروط اللازمة وليفعل حسب تدبيرك وتدريبك واما انت فلا اريد الان ان اذكر لك جزيل المكافأة التي ساقدمها اليك مقابل معروفك وخدمتك

ثم افترق الاثنان والغني واثق بمقدرة صديقه المحامي واقام ينتظر ما تلده الايام

— ١٠ —

بعد ثلاثة اسابيع من هذه الحوادث احتفل بعقد خطبة ليزا لحبيبها فريتس بحضور الاصدقاء والاقارب . وكان فريتس في صباح هذا النهار بادي السرور يطفح وجهه هناء . وبعد مقابلته لعروسه خرج من المنزل لقضاء بعض حاجاته على امل الرجوع حالاً ولكنه لم يعد الا بعد اربع ساعات وكانت امائر الانقباض والكمد بادية في وجهه فانفردت به ليزا وسالته الافصاح عما جرى فامتنع فازدادت الحاحاً عليه فقال لا اكتمك يا عزيزتي اني تخاصمت مع هربرت

فذعرت ليزا وقالت — وما الداعي لهذا الخصام

قال — هو خصام بلا داعٍ فان هذا الشاب ما زال يتعرّض لي منذ اكثر من عشرة ايام اما انا فكنت لا ابالي بتحرُّشه وتصدّيه وليس لي علاقة معه البتة الى ان رآني اليوم وتعمد اهانتي وتحقيري

فلم احتمل وقابلتهُ بالمثل فطلبني للبراز فلبيته

فنزل هذا الخبر على ليزا نزول الصاعقة وقالت — ومتى تقرر موعد البراز

قال — غداً صباحاً فينبغي ان اذهب الان لابحث عن شاهدين لي ٠ فحاولت ليزا ان تمنعه فتخلص منها وخرج يعدو٠ فارتاعت الفتاة ولبثت حيناً جامدة مكانها لاتبدي حراكاً ٠ ولما ثاب اليها روعها قامت فمسحت دمعتين بلوريتين من مآقيها ولم تلبث ان رأت عربة فركبتها وسارت تريد منزل صديقتها مدام كوخال والدة هربرت الذي طلب حبيبها للبراز ولما وصلت ترجلت ودخلت المنزل وهي ترتجف من شدة الاضطراب فلما ابصرتها صاحبة المنزل تحفَّت بها واجلستها وهي تقول — عسى ان تكون زيارتك لخير ايتها العزيزة ليزا

قالت ارجوك ياسيدتي ان تخبريني اذا كان لك تاثير في ابنك وطاعتك واجبة عليه ام لا

قالت — سكني روعك وحدثيني بما اتيت لاجله ولا تخفي عني شيئاً لاني مستعدة ان اقوم بقضاء ماترومين واذا كان الامر متعلقاً بابني فهو في قبضة يدي اذا اردت

فجلست ليزا وأَخبرتها بالحادثة من اولها فذكرت لها تفصيل مقابلتها للخواجا ماير في منزل الدكتور بورغمان وما جرى لها معه في الليل ومجيء الغني اليها في اليوم التالي ومقابلتها اياه بالجفاء ثم

افضت الى ذكر المبارزة وجزمت بانها ناتجة طبعاً عن كل ذلك

وكانت ليزا تتكلم بحزن عميق والتنهدات الحارة تخنق صوتها فتأثرت لهامدام كوخال وقد اضطرب فوءادها وشعرت بانزعاج عظيم لانها كانت تحب ليزا ولا تريد لها الا كل خير وسعادة . فاطرقت برأسها الى الارض وقد تسلطت عَلَى وجهها غيوم الكآبة ولكنها ما عتمت ان انقشعت فرفعت راسها وقالت — هوّني عليك ياحبيبتي وعودي الى بيتك وكوني براحة فلن يحدث براز بين ولدي وعريسك

— ١١ —

فشكرتها ليزا كثيراً ثم قامت فودعتها وخرجت وهي واثقة بان هذه السيدة الكريمة ستقوم بوعدها وتمنع ابنها عن المبارزة . وبعد خروجها قامت مدام كوخال فارتدت بثيابها وخرجت تقصد المنزل الذي كان يقطنه ابنها . وما عتمت ان بلغته فدخلت عَلَى ابنها فوجدته جالساً في غرفته يشحذ سلاحه . فلما رأى والدته ترك ما كان بيده ووثب لاستقبالها وهو يتعجب لهذه الزيارة فنظرت هي اليه شذراً وقالت — ماذا تفعل ؟

قال — كما ترين

قالت — بلغني انك تريد ان تبارز الملازم فريتس

قال — نعم قالت — وما الداعي لذلك ؟

قال — لانه اهانني

قالت — كذبت بل انت مدفوع الى هذه الفعلة الشنعاء من الخواجا ماير الذي اشتراك بمبلغ من ماله لتسفك دماً زكياً بدون اقل سبب

قال — وماذا يمنعني من ذلك ؟

قالت — لا شيء سوى الصك الموجود عندي بامضائك والذي بموجبه ساسلمك الى المحاكم واطلب منها ان تودعك السجن لعله يعيد اليك صوابك

قال — مهلاً يا اماه اجلسي فاقص عليك المسألة بتمامها

فجلست وقالت — قل ما تشاء

قال — ان الخواجا ماير قد وفى عني جميع ديوني وقيَّدني بعهد عظيم ليس لي منهُ مناص

قالت — وما هو هذا العهد ؟

قال ان ابارز الملازم فريتس فان فعلت ذلك فليس للخواجا ماير عليَّ شيء وان أحجمتُ فانا في قبضة يده يفعل بي ما يريد

قالت — ومتى ضربت موعداً للبراز؟

قال — صباح الغد

قالت — لايمكن ان يتم ذلك بل يجب ان تبرح اليوم برلين وتسافر الى افريقيا وانا اقدم لك جميع النفقات والا فلا يكون لك مهرب من العدل

فلما سمع هربرت ذلك سُقط في يده ولبث كالمأخوذ لايدري ماذا يقول لانهُ تيقن ان والدتهُ لابد ان تنفذ تهديدها اذا اصرَّ عَلَى عزمهِ · فاطرق قليلاً وهو يتدبر الامر في نفسه وكأنهُ أشرق عليه فكرٌ غريب في تلك اللحظة فرفع رأسه وقال — مهلاً يا اماه فلا لزوم لسفري الى افريقيا بل انا اعدك باصلاح سيرتي وعودتي اليك تائباً نادماً · فبعد ان افرغ من خدمة ماير تريني في غير حالتي الماضية البذيئة ·

قالت — والمبارزة؟

قال — ستتمُّ غداً واكون انا المغلوب لا الغالب وبغير هذه الواسطة لايمكن ان ارضيك واتخلص من هذه الورطة في وقت واحد · ولما قال ذلك تغيرت احواله فابرقت اسرتهُ وظهر عليهِ السرور والارتياح. ففهمت امه مقصده وقالت حسن ولكن اياك ان يمس خصمك بضرر فقطرة دم واحدة منهُ تجعلني ان أنفذ وعيدي وأنتقم منك انتقاماً هائلاً ·

فقام هربرت اليها وقبل يدها وقال — ثقي بصدق كلامي وصحة توبتي

— ١٢ —

وفي صباح اليوم التالي التقى هربرت وفربتس ومعهما شهودهما في مكان عيَّناه بالامس ولما أُعطيت الاشارة من الشهود أطبق

الخصمان على بعضهما ولم يكن الا بضع ثوان حتى سقط هربرت والدم يسيل من ذراعهِ وبهذا انتهى البراز ولم يصب فريتس مكروه ابداً وقد تعجب الشهود كثيراً لان هربرت لم يُغلب في حياته قط وقد قهر اشد المبارزين

وما سمع صاحب الملايين بهذه النتيجة حتى قامت قيامته واصابه نوع من الذهول ولم يلبث ان خرج من برلين عملاً بمشورة بعض اصحابه من الاطباء

وعاد فريتس الى خطيبتهِ مسروراً بانتصاره مستغرباً كيف تمَّ له هذا الانتصار على مثل هذا المبارز الذي ادرك في هذا الفن اعظم مراتب الشهرة. فاستقبلتهُ ليزا بفرح لا مزيد عليه ولم تخبره بشيء من حديثها مع مدام كوخال لانها وعدتها بالكتمان التام. واما هربرت لم يمضِ عليه الا بضعة ايام حتى برىء من جراحه فعاد الى والدته فوقد آلى علَى نفسه ان يترك الحانة والميسر ويعيش عيشة شريفة

وبعد هذه الحادثة ببضعة اشهر زُفت ليزا الى فريتس وعاشا بقية ايامهما بالرغد والهناء

﴿ الطباعة ﴾

(تابع لما قبل)

ولم تلبث صناعة النسخ ان بلغت في اواخر القرون المتوسطة

مبلغاً عظيماً من الكمال والاتقان وخصوصاً فيما يتعلق بتزيين الكتب المنسوخة بسائر انواع الرسوم والتصاوير والالوان والنقوش الى غير ذلك من انواع الزينة بحيث لو نُشر احد تلك الكتب الان لأَدهش العقول وخلب الابصار · وواضحٌ ان كتاباً واحداً من مثل هذه الكتب المزخرفة كان يقتضي لشغله وتنميقه سنة واكثر وبالتالي ثمناً باهظاً جداً حتى كانت التوراة الواحدة من هذا النوع تُباع بنحو الف ليرة وهو مبلغ وافرٌ جداً بنسبة قيمة الدراهم في تلك العصور · ولذا فلم يكن احدٌ يقتني شيئاً من تلك الكتب الاَّ الملوك وسراة القوم ولاجلهم انما كان الرهبان يشتغلون

اما المكاتب فلم يكن يقتنيها الاَّ نفرٌ من الرهبان والملوك واكابر الاغنياء · فمنهم كارلوس الخامس الحكيم ملك فرنسا في القرن الرابع عشر فقد كان عنده مكتبة تحتوي الفاً ومئتي كتاب خطيّ · وهذا العدد كان ذا شأن خطير في تلك العصور (الوسطى) · اما الان فترى المكاتب الخاصة (فضلاً عن العامة) غاصة بالوف الكتب على اختلاف انواعها · اما العمومية فحافلة بعشرات الالوف ومئاتها ككتبخانة باريس والمتحف البريطاني في لندن ففي كلٍّ منهما ما يفوق الثلاثمئة الف مجلَّد · وفي الولايات المتحدة الاميركية اكثر من اربعة آلاف مكتبة عامة فيها نحو ثلاثة وثلاثين الف الف موءلَّف

فهذه الثروة الكتبيَّة لم يكن في الامكان تيسيرها في العصور المتوسطة وحينئذٍ فمن البديهي ان الشعب لم يكن يستنير بشيء من مصنفات عصره لوفرة اثمانها الفاحشة ففشت به والحالة هذه الاوهام والاباطيل وتفاقمت بين ظهرانيه الخرافات والاضاليل حتى كان اكثره كالحيوان الاعجم او أضلَّ سبيلاً · وفي هذه الحالة صار من الضروري الذي لا مفرَّ منه ان تُستبدَل النساخة بالطباعة لتصير النسخة الواحدة من اي كتاب كان تُطبع الافاً من المرات بدون تعبٍ خاص ونفقات طائلة

وهذه الحاجة الى مثل هذا الاختراع صارت لا بُدَّ منها لسببٍ اخر وهو : منذ القرن الرابع عشر ابتدأ تولّد العلوم والفنون فاستيقظ الفكر الانساني بعد سبات طويل استغرق اكثر من الف سنة واصبحت افنان الفلسفة وسائر العلوم تمتدُّ وتنتشر ممزّقةً جلابيب الغباوة والضلال · فبعد ان كان الفكر محصوراً ضمن جدران الاديرة اخذ يسعى ويمتدُّ الى كل مكان · وقد نبغ في القرن المذكور في ايطاليا نفرٌ من مشاهير الكتاب والعلماء مثل دانتي وبترارك و بوكاتشيو ذاعت شهرتهم في اكثر انحاء المعمور · والاخير منهم اشتهر بكتاباته الهزلية والانتقاديَّة ضد الاكليروس · وعلى هذه الصورة لم يعد من المحتمل ان تُستنسخ مصنَّفاتهُ في الاديرة بل اقتضى لها وسط اخر وسُبل للانتشار اخرى

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر شرع بعض الاوربيين وغيرهم يمتحنون طباعة بعض المنشورات والرسوم بواسطة قوالب من خشب ينقشون عليها ما شاءوا طبعه من الاشكال والحروف . وكان هذا النوع من الطباعة منتشراً بالاكثر في هولندا . شرع به في تلك البلاد في بدء القرن الخامس عشر رجلٌ حاذقٌ يُقال لهُ لافرينتي كوستير . والهولنديون يعزون اليه شرف اختراع الطباعة جازمين بان غوتنبرغ الشهير انما اختلس هذا السرّ وادعاه لنفسه . غير ان المشهور والذي عليه رأي الجمهور ان الطباعة الحقيقية لم تُعرَف قبل سنة ١٤٤٠ اي ان الحروف المنفردة لم تكن ظهرت الى عالم الاستعمال قبل تلك السنة وهذا هو السر العظيم فيها

اما النوع المذكور فقد كان معروفاً ومستخدماً ايضاً في بلاد الاندلس (اسبانيا) حيث كان اهلها (العرب) يعلمون فن الطباعة على الحجر والخشب . « ومن الاكتشافات التي وقف عليها المستشرق هامر برغشتال (راجع المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٢ ص ٢٠٢) ان عرب بلاد الاندلس لم يجهلوا فنّ الطباعة ولعلهم اهتدوا اليه بعد فتوحهم لقسم من بلاد الهندستان ودخولهم في الصين . ومما يشهد علَى ذلك ما ورد في كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة سنة ٧٧٦ ه (١٣٧٥ م) في ترجمة ابي بكر القلوسي الاندلسي قال : « والَّف كتاب الدرَّة المكنونة في

محاسن اسطبونة ... ورفع للوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه» وجاء ايضاً في كتاب الحلة السرية لابن لاثير (ص ١٣٧ من طبعة دوزي) عن بدر مولى الامير عبدالله انه كان «يكتب السجلات في داره ثم يبعثها للمطبع فتطبع وتخرج اليه فتبعث في العمال». وهذا دليل على ان العرب كانوا يعلمون فن الطباعة على الحجر. وكانوا يحفرون ايضاً الخشب للطبع يؤيد ذلك طابع كان اصحاب القيسارية في مدينة المرية في الاندلس يرسمون به البضائع يرتقي عهده الى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٥٠م) (١)»

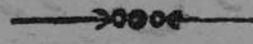
غير ان كل ذلك لم يكن ليشفي غليلاً. فضلاً عن ان هذه الطباعة (طباعة الخشب او الحجر) كانت على جانب عظيم من المشقة وعدم الموافقة. لانه لو أريد طبع كتاب يحتوي خمسمئة صفحة مثلاً لاقتضى ذلك تجهيز خمسمئة قالب خشبي وحفرها بالكتابة المطلوبة واخيراً طبعها. وفي هذا كما لا يخفى اشد السآمة واكبر العناء. وهذا النوع هو المتداول الان في بلاد الصين

فاقتضى والحالة هذه تغيير الطباعة واستبدال القوالب الخشبية او الحجريه بحروف منفردة تصف وتفرق ويطبع بها ما أريد من الكتب على اسرع الطرق واسهلها. وهذا العمل العظيم بل الاختراع

(١) المشرق س ٣

الكبيرقام به يوحنا غوتنبرغ الالماني الشهير الذي احتفلت له المانيا قاطبةً سنة ١٩٠٠ بمرور خمسمئة سنة من يوم مولده

(ستأتي البقية)



الفلاح والجاحد

حكي ان كافراً يقال له يوسف بار كر قضى السنين الطوال في القاء الخطب الرنانة في نكران الخالق فكان يجول من مدينة الى اخرى ناشراً تعاليمهُ في اقطار المسكونة وكانهُ حسب نفسه مرسلاً للتبشير بانجيل الشيطان . واتفق انهُ وصل يوماً الى مدينة صغيرة فسأل عن محل اجتماع قومها ثم أعلن في الجرائد انه سيلقي في ذاك المحل عدة خطب في نكران الخالق ودحض الآرآء التي تؤيد وجود اله معتنٍ بالكون وضرب لذلك موعداً . ولما جاء الوقت المضروب تقاطر الناس افواجاً لسماع هذه الخطب النادرة حتى غصَّ بهم المكان . فقام بهم خاطباً وقال في سياق حديثه : انظروا اني قد قضيت اكثر حياتي في القآء الخطب ضد وجود الاله وقد كدت افني عمري ساخراً مستهزئاً بكل ديانة فاذا كان الله موجوداً فلمَ لم يهتم لامري ويضربني الضربة القاضية ويجعلني عبرة لغيري . او بالاحرى لماذا لم يبكم لساني عن التفوه بهذا الكلام الذي يسميه اهل الخرافات الدينية كفراً وتجديفاً . حقاً يا اخوان ان حياتي كلها كانت ولم تزل ربيعاً دائماً . فلم

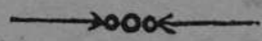
أُعارَض طول حياتي بشيء ولم امرض قط وتروني سعيداً فرحاً بهذا الاعتقاد الحقيقي. افلست انا اذاً برهاناً ساطعاً عَلَى عدم وجود الخالق؟ واذا كان لاحد الحضور ان يعترضني اويبين لي جهالتي فليفعل وانا له من الشاكرين .

ولما وصل الى هذا الحد من الكلام ادار نظره في الحشد وهو يزدهي تيهاً واعجاباً. وكان الحاضرون قد اطرقوا كأَن عَلَى رؤُوسهم الطير. وان هم لكذلك قام فلاح من بينهم وتقدم بضع خطوات ليجاوب الكافر عَلى كلامه فضحك اكثر الحضور عليه لعلمهم بسذاجته البالغة الحد. اما هو فلم يكترث بضحكهم عليه واستخفافهم به بل قال لهم : تعلمون ايها الناس اني رجل بسيط لم اتعلم اللاهوت ولم ادرس الفلسفة ولا الخطابة لاني فلاح ابن فلاح غير اني اريد ان اجاوب هذا الخطيب وازيّف اقوالهُ السخيفة متخذاً كلامي من ابسط الامور التي لا بُدَّ ان تخطر امثالها لكثيرين منكم : فلي كلب كان من عوائده القبيحة انهُ كلما شاهد القمر طالعاً يأْخذ في النباح والهرير والوثوب ولا يزال هذا حاله حتى يغيب القمر عن ابصاره وكانهُ بفعله هذا لم يكن يحب ان يرى القمر مشرقاً. غير ان القمر لم يكن ليكترث به بل كان يسير في القبة الزرقاء بكل هدوء وسكينة مرسلاً اشعته الفضية بكل جمال وجلال. وليت شعري هل يهتم القمر بامر هذا الكلب او بامثاله ؟ كلا لعمري انه كلب ليس الا. والقمر لا يزال

قمراً ولم ينقص من ضيائهِ البهي شيء · تلك هي حالة حضرة خطيبنا بعينها فهو يقذف على العزة الالهية ويزدري بها ويدّعي عدم وجودها ويكثر من (الهدير والنباح) وهل كل كلامه او كلام امثاله الكفرة يصغر او يهين شخص الاله ؟ او هل ينقص شيئاً من جلالهِ وقدرته عزّ وجل؟ كلا · ثم كلا · فهو يحتمل هفوات الاشرار بطول اناته ورحمته ويشرق شمسهُ عَلَى الصالحين والطالحين فمن اهتدى فلنفعه الخاص ومن جحد وطغى فامامه يوم الحساب الرهيب الذي ليس فيهِ لاحد مفرٌّ من وجه الخالق العظيم

هذه الخطبة البسيطة اثّرت تاثيراً شديداً في قلوب السامعين فاثنوا عَلَى قائلها بكل شفة ولسان · وقد وجدت ايضاً فراغاً في قلب الخطيب الجاحد فاقتنع كل الاقتناع بوجود الخالق العظيم وندم عَلَى جهالاته السابقة وسار بعد ذلك في الصراط المستقيم

عن الالمانية جبران مطر



سدوم وعمورة

لا أَعلم اذا كانت مدينتا سدوم وعمورة القديمتان بهذا المقدار أَثيمتين حتى استوجبتا ذاك العقاب الشديد الذي حلَّ بهما وابادهما عن وجه الارض فتحولتا الى بحيرة لوط المشهورة · غير ان سكان مسينا ورجيو (اي سدوم وعمورة هذه الايام) ليسو اكثر اثماً من

سواهم من اهل المدن الاخرى · ومع هذا نراهم وقد نزلت بهم هذه النازلة الشديدة فأفنتهم وتركت ديارهم قاعاً صفصفاً وجعلت بينهم وبين سكان سدوم وعمورة مشابهة تامة · ولقد حدثت زلازل كثيرة في بلدان كثيرة غير ان دماراً هائلاً وفناءً سريعاً كالذين حدثا في مسينا ورجيو نادرا المثال · فلا خراب بومباي وهركولانوم سنة ٧٩ م ولا خراب ليسبون سنة ١٥٣١ والمرتينيك سنة ١٩٠٢ بشيءٍ يذكر بازاء هذه الزلزلة الهائلة التي نكبت بها مسينا ورجيو في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول الماضي

ومن المحقق جيولوجياً ان نصف ايطاليا تقريباً ارض بركانية ولو لم يكن فيها منافذ مثل جبال يزوف واسترمبلي وأتنا لبادت او غاصت في المياه كما غاص برُّ الاتلنتيد الذي كان فيما مضى من الادهار حسب رواية بعض التقاليد في حوض البحر المتوسط الحالي

ومن غرائب القوى الطبيعية التي في باطن الارض انها تخرج بعض الاحيان الى ظاهر الارض جبالاً برمتها وكل من زار بوتسولي (بقرب نابولي) يشاهد هناك جبلاً يقال لهُ الجبل الجديد · وبديهي ان هذا الاسم يدل على ان الجبل جديد النشأة اذ لم يكن له وجود في القرن الخامس عشر كما تشهد بذلك صور تلك الاماكن وانما هو نبت في ليلة واحدة من سنة ١٥٣٨ · ووقتئذٍ

ابتلعت الارض بلدة تريبرغولا التي كانت قبيل ذلك مشهورة بمياهها المعدنية وقد دفنت معها ايضاً بقايا مصيف الامبراطورة اغريبينا

هذا ما جرى الان تماماً لمسينا ورجيو فقد ابتلع البحر قسماً من رجيو ولم يبق لمينائها من اثر واكتسح ايضاً جانباً من شاطىء جزيرة كلابرياوفاض على مسينا

بدأ الزلزال في الساعة الخامسة والدقيقة ٢٥ صباحاً والناس نيام واستمر من ٢٥ الى ٣٥ ثانية و بعد دقيقتين تمّ القضاء المحتوم فما كاد الناس يشعرون بالهزات الاّ وهم مدفونون تحت انقاض منازلهم . وليس غرضنا هنا ان نصف تلك الحالة المريعة التي اصبحت فيها مسينا ورجيو . بل حسبنا القول ان هذا الزلزال كان اشد جميع الزلازل هولاً واعظمها تخريباً وقد قُتل فيه نحو مئتي الف نسمة من البشر

اما مسينا فقد كانت مدينة تجارية غنية وهي من المدن الساحلية في جزيرة صقلية تأسست عَلَى ما يرويه التقليد في القرن العاشر بعد المسيح وقد تداولتها دول كثيرة وتعرضت للاوبئة والزلازل مرات كثيرة غير انها كانت تعمر ولاتبالي بتلك المصائب . واشتهرت هذه المدينة ببعض ابنيتها التاريخية القديمة فمن ذلك كنيسة شيدت فيها سنة ١٠٩٨ بناها روجيرو الثاني ملك صقلية

وكلية شهيرة بنيت سنة ١٥٤٩ . وكان عدد سكانها قبل ان نكبت بالزلزال الاخير مئة وخمسين الف نفس لم يبق منهم الاَّ عشرة الاف . واما رجيو فهي من المدن الساحلية من شبه جزيرة كلابريا التي يفصلها عن صقلية مضيق صغير اسمه مضيق مسينا عرضه من ثلاثة كيلومترات الى اربعة . وكان عدد سكانها اربعين الفاً وتجارتها بالخمور والزيوت والاسماك

والامر المدهش في هذا الامر هو كيف ان الناس يقطنون مثل هذه الاماكن المعرَّضة في كل دقيقة للاخطار . نعم ان تربة الارض حول البراكين خصيبة جداً بالنظر الى تركيب المقذوفات التي تخرج من البراكين فهي تجعل التربة صالحةً جداً . ولكن هل بلغ الطمع من بني البشر انهم ينسون الخطر لاجله ؟ حقاً ان ذاكرة الانسان سريعة النسيان كقلبه . فقد حدث في هاتين المدينتين وفي سواهما كبومباي وكلابريا وليسبون وغيرها من الاهوال والاخطار مايقضي علَى الناس حتماً بهجر مثل هذه الاماكن . فبومباي مثلاً كانت مبنية عند قاعدة جبل يزوف وكانت من اشهر واجمل مدن الدولة الرومانية واكثرها ثروةً وعمراناً وقد اصابها سنة ٦٣ م زلزال زعزع اركانها ودمَّر كثيراً من ابنيتها فأخذ الناس بالترميم وفيما هم يرممون ثار بركان يزوف سنة ٧٩ فدفنها تحت مقذوفاته ودفن معها مدينة هركولانوم التي كانت بجوارها ولم يبق ظاهراً منهما شيء .

وفي مسينا حدث زلزال هائل سنة ١٧٨٣ دمَّر بها منازل كثيرة وقتل كثيرين وعاد اليها الزلزال سنة ١٨٨٣ وقتل فيها ستين الف نفس. ولما حدث الزلزال في ليسبون (عاصمة البرتغال) ودمَّر المدينة وقتل تحت الردم ثلاثين الف نفس قال الناس ان البرتغاليين سيشيدون عاصمتهم في غير مكان ولكنهم شيدوها في موقعها الاصلي... وهكذا الان يقولون عن مسينا فالاغلب انها ستعمر حيث كانت كأن لم يحدث فيها شيء من هذه النوازل الجسيمة والخطوب المريعة. وكل ذلك على ما نظن لحسن موقعها الجغرافي وخصب تربتها وتربة ما يجاورها من الاماكن المحدقة بحضيض جبل أتنا حيث يعدّون خمس وستين بلدة بين كبيرة وصغيرة يسكنها مقدار ثلث جميع سكان صقلية. وقد قال احد المشاهير انه لو كانت فرنسا كلها تشبه البقاع المجاورة لبركان أتنا لبلغ عدد سكانها مئة وسبعين مليوناً...

وقد عُلم من تتبُّع هذه الحوادث في جزيرة صقلية ان للزلازل الكبيرة ادواراً بين الواحد والآخر نحو مئة سنة. واشدّ الزلازل التي حدثت فيها في العصور المتأخرة قبل الزلزال الاخير كانت سنة ١٦٦٨ وسنة ١٧٨٣ والثاني منهما كثير الشبه بزلزال هذه الايام لان اكثر تدميره كان في رجيو ومسينا. وليس لتواتر الزلازل في تلك البلاد التعسة الاَّ طبيعة ارضها البركانية ولله في خلقه شؤون

واننا نترك وصف هذه الفاجعة الاليمة من حيث تأثيرها في القلوب ليراعة حافظ افندي ابرهيم الشاعر الذائع الصيت . فقد نظم في ذلك قصيدةً طويلة نقتطف منها ما يأتي :

نبئاني ان كنتما تعلمانِ … ما دهى الكون ايها الفرقدانِ
غضب الله ام تمرَّدت الارضُ … فأنحت على بني الانسانِ
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا … ك ولكن طبيعة الأكوانِ
غليانٌ في الارض نفَّس عنهُ … ثورانٌ في البحرِ والبركان
ربِّ اين المفرُّ والبحرُ والبرُّ … علَى الكيدِ للورى عاملان
ما (لمسّين) عوجلت في صباها … ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها … حين تمَّت آياتها آيتان
خسفت ثم اغرقت ثم بادت … قُضي الامرُ كله في ثواني
وأتى امرها وأَضحت كأن لم … تكُ بالامس زينةَ البلدان
بغتِ الارض والجبال عليها … وطغى البحر ايما طغيان
وشفى الموت غلّهُ من نفوس … لا تباليه في مجال الطعان
اين (رجيو) واين ما كان فيها … من مغانٍ مأهولةٍ وغواني
عوجلت مثل اختها ودهاها … ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ في باطن الار … ضِ ينادي امي . ابي . أدركاني
وفتاة هيفاءَ تُشوى علَى الجمـ … ـرِ تعاني من حرّهِ ما تعاني
وأَبٍ ذاهل الى النار يمشي … مستميتاً تمتدُّ منه اليدان

باحثاً عن بناته وبنيه　　مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكلُ النار منه لاهو ناجٍ　　من لظاها ولا اللظى عنه واني
غصّت الارضُ — أتخم البحر مما　　طوياه من هذه الابدان
وشكا الحوت للنسور شكاة　　ردّدتها النسور للحيتانِ
أسرفا في الجسوم نقراً ونهشاً　　ثم باتا من كظةٍ يشكوان

*

ايهِ (مسين) آنسي اليوم «بما　　ي» فقد اوحشت بذاك المكان
آنسي الدرةَ التي كانت الحا　　ية في تاج دولة الرومان
غالها قبلكِ الزمان اغتيالاً　　وهي تلهو في غبطةٍ وأمان
جاءها الامر والسراةُ عكوفٌ　　في الملاهي عَلَى غناء القيان
بين صبٍّ مدلّهٍ وطروبٍ　　وخليع في اللهو مرخي العنان
فانطووا كانطواء اهلك بالام　　س وزالت بشاشةُ العمران
انتِ «مسين» لم تزولي كما زالت　　ولكن امسيتِ رهن الاوان
ان ايطاليا بنوها بناةٌ　　فاطمئني ما دام في الحي باني
فسلام عليكِ يوم تولـ　　ـت بما فيكِ من مغانٍ حسان
وسلام عليكِ يوم تعود يـ　　ـنَ كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حي عَلَى الار　　ض عَلَى كل هالكٍ فيكِ فانِ
وسلام عَلَى كل امرىء جاد بالدم　　ع وثنى بالاصفر الرنان
ذاك حق الانسان عند بني الا　　نسان لم ادعكم الى إحسان

فاكتبوا في سماء (رجيو) و(مسـ   ينَ) و(كالبريا) بكل لسان
ههنا مصرع الصناعة والتصـ   ويرِ والحذق والحجى والاغاني

حكم تلمودية

(الربّي عقيبا)

يجب علَى الانسان ان يشكر الله على الخير والشر كما هو مكتوب «تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك تث ٦ : ٥» (من كل قلبك — بكل اميالك للخير او للشر . من كل نفسك — حتى ولو طلب حياتك . من كل قوتك — بكل ما تملك = مهما اصابك خيراً كان ام شرًّا أخلص لهُ الشكر)

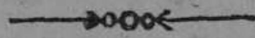
سافر مرةً الربي عقيبا ومعه حمار وديك وخروف فوصل قرية عند الغروب وطلب مبيتاً فلم يجد فقال (كل ما يفعلهُ الله حسن) . وسار نحو الغاب عازماً على المبيت فيه ولما اضاء سراجه اطفأه الهواء فقال (كل ما يفعلهُ الله فهو حسن) . ثم افترست السباع الحمار والديك والخروف فلم يقل سوى (كل ما يفعله الله فهو حسن) . وفي الصباح علم ان فرقة من جنود الاعداء اجتازت الحرش في تلك الليلة فلو كان السراج موقداً او نهق الحمار او صاح الديك او ثغا الخروف لقُتل بلا ريب ولذلك قال (كل ما يفعله الله فهو حسن)

بينما كان مرة الربّيون غمليئيل والعاز وابن عزريا و يهوذا وعقيبا سائرين معاً سمعوا ضجيجاً وضحكاً وغناءً بالقرب منهم . فبكى الاربعة وضحك عقيبا بأعلى صوته فقالوا له — لماذا ضحكت ياعقيبا ؟ ان هولاء الوثنيين في سلام وفرح ومدينتنا المقدسة خراب . فأجاب — اني اسر واضحك لنفس السبب الذي يبكيكم لانه اذا سمح الله لمن يخالفون مشيئته ان يعيشوا بفرح عَلَى الارض فكم يكون عظم السعادة التي اعدّها الله في العالم الآتي للذين يحفظون وصاياه

وان هوءلاء الربيين الخمسة شخصوا في ذات يوم الى اورشليم ولما بلغوا جبل صهيون ورأوا الخراب شقّ الاربعة ثيابهم . ولما انتهوا الى مكان الهيكل رأوا ثعلباً خارجاً من مكان قدس الاقداس فبكى الاربعة بكاءً مراً بينا كان عقيبا يضحك مسروراً فوبخوه على تصرّفه غير اللائق فقال تسألوني عن سبب سروري فاخبروني انتم لماذا تبكون ؟ قالوا — التوراة تنبئنا بان كل اجنبي (ليس من نسل هرون) يقترب من قدس الاقداس يُقتل وها انا نرى الثعلب مقيماً فيه فكيف لا نبكي ؟ قال — اما انا فأضحك لنفس السبب الذي يبكيكم . اليس مكتوباً (وأشهدتُ لنفسي شاهدين امينين اوريّا الكاهن وزكريّا بن برخيا اش ٨ : ٢) . ولكن ما لاوريا مع زكريا . اوريا كان عَلَى عهد الهيكل الاول وزكريا عَلَى عهد الهيكل الثاني .

اما تعلمون ان نبوءة اوريا تقابل مع نبوءة زكريا . ففي نبوءة اوريا ما يأتي (لذلك تُحرث صهيون بسببكم كحقل وتصير اورشليم خراباً وجبل البيت شوامخ وعر ميخا ٣: ١٢) . وفي نبوءة زكريا نجد (ان الشيوخ والشيخات يعودون فيجلسون في اسواق اورشليم زك ٨ : ٤) وعليه فلو لم تتمّ نبوءة اوريا المحزنة لارتبتُ بصدق نبوءة زكريا المعزية فالان وقد تمّت الاولى فانا متأكّد اتمام الثانية ولذلك أفرح . واذ سمع اصحابه ذلك قالوا — لقد عزّيتنا بكلماتك ياعقيبا فعسى الله يُعدّ لنا التعزية دائماً

القس اسعد منصور



﴿ بطرس الاكبر وزوجته ﴾

كانت الامبراطورة كاترينا قرينة بطرس الاكبر امبراطور روسيا من اعقل نساء زمانها واجملهنّ وكانت خاملة النسب غير ان بطرس اقترن بها لفرط جمالها وادبها . وفي بعض الايام بينا كانت هذه الامبراطورة واقفة امام زوجها في مكتبه قُدّمت اليه رقعة ليوقّع عليها فسالته كاترينا عن مضمونها فاجاب انها صورة حكم بالاعدام عَلَى عشرين رجلاً كانوا يأتمرون عَلَى قتلي اغتيالاً وقد علمت بهم الحكومة فحاكمتهم وصدر حكم قضاتها بقتلهم جميعاً وهم ينتظرون توقيعي لانفاذ الحكم فيهم . ثم تناول قلماً ليكتب

توقيعه فامسكت كاترينا يده واخذت منهُ القلم وقالت — اذن فسفك دماء عشرين نفساً يتوقف على سفاك قطرة حبر من راس يراعك

قال — نعم وذلك بحكم القضاة

قالت — بل بحكمك يا مولاي لان قرارهم لا يتم الا بامرك وقد فعلوا هم ما يجب عليهم من العدل فافعل انت ما يجب عليك من الرحمة والعفو

قال — ان العفو مستحيل · انهم قد نووا اغتيالي فهم مجرمون

قالت — انهم قد عزموا عَلَى قتل واحد ولم يفعلوا ومع ذلك فقد دعوتهم مجرمين يستوجبون العقاب وها انت الان تفعل اكثر منهم اي تنوي قتل عشرين نفساً ثم تريد انفاذ القتل فعلاً فاي الجانبين اشد جرماً ؟ الذي ينوي قتل واحد ولا يفعل ام الذي ينوي قتل عشرين و يفعل ؟

قال — بل لا بد من قتلهم لانتقاماً منهم بل ليكونوا عبرة لسواهم

قالت — هيهات ان اسمح لك بذلك او ادعك تلطخ وشاح ملكك بدم قوم لم يجرموا اليك الاَّ بالقصد دون الفعل

فغضب القيصر من شدّة اصرارها ومحاولتها منعه عن انفاذ قصده وللحال نهض حانقاً هائجاً وضرب بكفه مرآة نفيسة كانت امامه وهي اثمن مرائي ذلك العهد فكسرها قطعاً واخذ يسحق تلك القطع بقدميه ثم التفت الى الملكة وقال —هكذا أُعيد كل من يعصيني الى اصله كما اعدت المرآة الى تراب(يشير بذلك الى اصل امرأته وانه يتهددها بارجاعها الى ما كانت عليه قبل زواجه بها)

فتبسمت كاترينا وقالت — نعم انك تقدر يامولاي ان ترجع كل شيء الى اصله كما فعلت بهذه المرآة ولكن اذكر انك تكون قد كسرت زينة قصرك

فسرّ الامبراطور لهذا الجواب وزال عنه الغضب ولم يلبث ان امر بالعفو عن المجرمين. وهكذا انقذت تلك القيصرة بعقلها وحسن جوابها عشرين رجلاً من القتل

عن الروسية — سليمان بولس

منثورات

العيوب الخاصّة

— لماذا اعتزلتَ الناس وآثرتَ الوحدة والانفراد؟

— لاني ألفتُ عيوبي الخاصة ولا أُريد النظر الى عيوب الغير

فحسبي النظر في عيوبي واصلاحها

الحب والزواج

كل متحابَّين يوءلفان واحداً صحيحاً فاذا تزوجا صارا نصفين

عيادة الحبيب

مرض الحبيب فعدتهُ فمرِضتُ من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني فبرئتُ من نظري اليه

اعتذار

لدينا عدة روايات ومقالات ومنشورات ضاق دونها نطاق المجلة وسنوردها تباعاً فنرجو العذر من اصحابها الافاضل اذا تأخر موعد نشرها

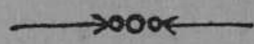
اهداء النفائس

اهداها حضرة الاديب سليمان افندي بولس (حاصبيا) الى الآنسة الادبية سلمى النصر (بيت لحم) فنشكر لحضرة المهدي غيرته واهتمامه بترويج صناعة الادب

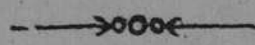
آثار ادبية

روضة المعارف — عنوان مجلة علميّة ادبية تاريخية فكاهية تصدر

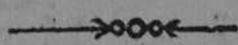
في بيروت لصاحب امتيازها ومديرها السيد محمد علي افندي قباني مدبجة بيراع الكاتب اللوذعي الاستاذ عبد الرحمن افندي سلام رئيس تحريرها. وهي تظهر مرتين في الشهر وقيمة الاشتراك فيها ريالان مجيديان في بيروت واثنا عشر فرنكاً في سائر الجهات فندعو لها ان تظل مثمرة بكل مفيد من المعارف والآداب



الحقيقة — جريدة يومية سياسية ادبية لصاحبيها احمد عباس افندي الازهري وحسن افندي الناطور. وردتنا الاعداد الاولى منها فالفيناها حاوية مقالات مفيدة وانباء شتى. وهي تصدر في بيروت وقيمة اشتراكها اربعة ريالات مجيدية في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات فندعو لها بالنجاح والتوفيق الى ما به الفائدة والنفع للوطن العزيز



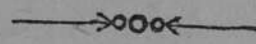
شرح نهج البلاغة — اذاع حضرة صاحب مجلة روضة المعارف انه قد عزم على طبع شرح كتاب نهج البلاغة الشهير في اربعة اجزاء وكل جزء ٥٨٠ صحيفة. وعرضه للاشتراك بقيمة ٨٠ غرشاً لمشتركي المجلة و١١٠ غروش لغيرهم فنحض القرآء على اقتناء هذا الكتاب الجليل لما فيه من الفائدة والمنفعة



تنبيه * حصل خطأ بوضع الصفحة ٣١٥ قبل الـ ٣١٤ فاقتضى التنبيه

قال — لا بدَّ ان يكون لاختفاء الاثنين سرٌّ لا نعلمه الان

وكان اليخت قد وصل الى الجزائر فوقف ونزل الركاب الى الشاطئ وبقي على ظهره النوتية والطهاة لاعداد طعام العشاء



الفصل السادس والعشرون

فيلسوف الحياة

وسار الملك والملكة وحاشيتهما عَلَى ذلك الشاطئ. وهم يتأملون في محاسن الطبيعة . وكانت السكينة مخيمة عَلَى تلك الارجاء لا يتخللها الا زقزقة العصافير وهدير البحر . فوقفت الملكة قليلاً وتنفست طويلاً وقالت — ما اجمل هذا المكان . ويخيل لي ان العالم كان عَلَى هذه الصورة في اوائل عهد الخليقة نقياً لا يشوّه صفاءه كدر

اما الملك فكان متعجباً لانه لم يرَ احداً من الاهلين فقال لروجر — عجباً وهل سكان الجزائر يختبئون نهاراً

فقال روجر وكان اشدَّ دهشةً منه — لا اعلم يا سيدي . وما كاد يفرغ من كلامه حتى ظهر لهم من بعيد رجل مسنٌّ كان يسير نحوهم بخطوات متثاقلة . ولما اقترب منهم رأوه شيخاً طويل القامة عليه ملابس الصيادين . فبادر اليه روجر وقال — ان جلالة الملك قد

احب في هذا النهار ان يزور الجزائر بقصد النزهة فهل لك ان تكون برفقته لتدلَّه عَلَى الاماكن المشهورة في هذه الجهات ؟

فنظر اليه الشيخ وقال لكن ليس عندنا من الاماكن ما يستحق الفرجة وانما اقدر ان ادعوه مع حاشيته الكريمة الى بيتي وهو وان كان بيت صياد فقير الا انكم تاخذون فيه بعض الراحة فهل لجلالته ان يقبل ضيافتي ولو لم اكن من رعيته ؟

فتعجب روجر وقال — فمن انت اذاً وما اسمك ؟

قال — اسمي رونسار وقد ساقتني التقادير من جهات بعيدة الى هذا المكان لاني منذ سنوات عديدة كنت مسافراً في البحر فانكسر بي المركب وغرق ولم ينج احد من ركابه الاّ ي وكانت نجاتي بطريقة عجيبة عَلَى ايدي بعض صيادي هذه الجزائر

فتذكر روجر للحال ما كان يسمعه من الاخبار والقصص عن «فيلسوف الحياة» وسرّ في قلبه كثيراً لهذه الصدفة · فعاد الى الملك واخبره بالحديث · فدنا الملك من الشيخ وقال — اني والملكة نشكرك على استعدادك لقبولنا في ضيافتك · وبما اننا لا نعلم شيئاً عن هذه الاماكن فلنا الامل بخبرتك ان تدلنا عَلَى اشهرها واجملها

فاجاب رونسار — اني مستعد ان اقوم بخدمة جلالتك وجلالة ها بكل قواي ولكنني اخشى ان لا تسرّك ضيافتي فاني رجل

بسيط وفقير وليس عندي الان من يساعدني عَلَى خدمتكم

فقال الملك — ان البساطة تعجب الملوك اكثر من النعيم . فهيا بنا

وفيما كانوا سائرين قال الملك لرونسار — كم سنة لك في هذه الجهات

قال — عشرون سنة يا سيدي

قال — وهل قضيتَ هذه المدة وحدك؟ فمن كان يعولك ؟ اليس لك امرأَة واولاد؟

قال — كلا ياسيدي فانا لم اتزوج غير ان الله ارسل لي ملاكاً يعزّيني ويسليني . وهذا الملاك فتاة أبهى من الشمس وانقى من الثلج وجدتها اتفاقاً منذ تسعة عشر عاماً واتخذتها ربيبةً لي فكانت سلوتي الوحيدة

قال — او لم تعرف شيئاً عن اصلها ومولدها كل هذه المدة؟ وكيف وجدتها ؟

قال — اما مولدها فلعلها خرجت مثل افروديتا من زبد البحر واشعة الشمس واما كيف وجدتها فقد كنت في احد الامساء سائراً في هذه الاماكن فرأيتُ على الشاطىء خشبة وقد رُبطت اليها طفلة صغيرة فبادرت اليها فالفيت هذه الحسناآء الصغيرة في سكرة الموت والظاهر انها كانت مع ذويها مسافرة في البحر فانكسر المركب ونجت هي بهذه الطريقة العجيبة كما نجوت انا . اما كيف

نجت ومن ربطها الى الخشبة ومن هي فلا يعلم احد الا الله · ولقد سُررتُ بهذه اللقيطة الصغيرة وللحال بادرت فحللتها واخذت افرك جسمها حتى اذا عادت اليها الحياة احتملتها الى بيتي واخذت من ذلك الحين اهتم بها واحرص عليها حرصي عَلَى روحي وأبذل كل ما في طوقي لراحتها ورفاهيتها وقد سميتها « غلوريا » وذلك لاني وانا عائد بها مررت بقرب كنيسة غير بعيدة عن الشاطئ فسمعت المرتلين يرتلون « المجد لله في العلى » فقلت في نفسي لا اليق من هذا الاسم بهذه المخلوقة الجميلة وهكذا سميتها غلوريا اي المجد وهي الان متزوجة

قال — فاذاً هي قد خرجت من بيتك

قال — كلا بل هي عندي الى ان يأْخذها زوجها لانه الان نوتي فقير ولا يستطيع ان يفعل شيئاً وهو وان كان فقيراً غير ان ربيبتي ترى نفسها سعيدةً جداً معه

قال — وهل هي في منزلك الان ؟

قال — كلا يا سيدي لانها خرجت منذ اكثر من ساعة ولا أعلم الى اين فقد تكون في الحرش او عَلَى صخور البحر او في بيوت بعض صويحباتها

فتعجب الملك وادرك ان هذا الشيخ يحجب عنه فتاته لخوفه عليها منه

وكانوا قد وصلوا الى المنزل فبادر رونسار وفتحه ودعا ضيوفه

فدخلوا وجلسوا في احدى الغرف ورونسار واقف امامهم يسرد لهم اخبار الصيادين واعمالهم وحوادثهم وتقاليدهم . وكان المنزل المذكور مبنياً من الخشب والجسور وفيه ثلاث غُرف صغيرة حوت اثاثاً بسيطاً للغاية

الفصل السابع والعشرون

﴿ حديث رونسار ﴾

وفي اثناء الحديث قال الملك لرونسار — اننا لم نرَ احداً من الاهلين في هذه الجهة فأين هم ؟

قال — اما الرجال فانصرفوا لاجل القيام عَلَى اشغالهم اليومية واما النسآء فيشتغلنَ في البيوت ومساء يعود الرجال الى منازلهم فيحيون جانباً من الليل في الرقص والغناء والطرب كأن الجميع اسرة واحدة وبهذا المعني يمتاز سكان الجزائر عن سائر سكان المملكة

قال — وهل انت مطلع عَلَى حياة جميع الناس ؟

قل — نعم انا اعلم كيف يعيش الناس في غير هذه البقعة فهم يسكنون الدور الفاخرة ويأ كلون المآ كل الطيبة ويلبسون الملابس الناعمة ولكنهم في الحقيقة عَلَى اكبر جانب من التعس والشقاء لانَّ في حضارتهم هذه ما يمزّق نفوسهم وينهش قلوبهم وينغّص حياتهم

فتبسم الملك وقال — يظهر لي من كلامك ان الاهلين هنا

متمتعون بسائر اصناف الراحة والسعادة فما السرُّ في ذلك ؟

قال — قد كانوا قبل مجيئي اليهم متفرّقين متحزّبين والعداوات آخذة منهم كل مأخذ وقد كان لهم علاقات أُخرَ مع جمعيات اشتراكية براسلونها وتراسلهم فلما انضممتُ اليهم واطلعت عَلَى احوالهم اخذتُ أسعى في اقتلاع جراثيم الفساد والشرّ من بينهم وقد بينتُ لهم ان الناس يعيشون في هذه الدنيا لاجل السعادة فهم يتقاتلون و يتهارشون عليها و يسلكون لاجلها مسالك بعيدة شاقّة مع انها قريبة جداً منهم بل هي تقرع باب كل واحد منهم وليس لمن يطلبها الاَّ ان يفهم ماهية حياته وعلاقته مع غيره من ابناء المجتمع البشري لان البشر انما وُجدوا للالفة والتعاون لا للحسد والشقاق ٠ وما زلتُ أشرح لهم تعاليم الحياة الصحيحة حتى اقتنعوا وقبلوها بسرور وارتياح فساد بينهم السلام وعمّت المحبة ولم يبقَ في نفوسهم أَثرٌ للحسد والظلم والأَثرة وغير ذلك من خلال الشر القائمة في نفوس اهل الحضارة والتمدن ٠ ولو كنتُ ملكاً في غير هذه الجهة لجعلت الرعية سعيدة جداً كما جعلتها هنا وانا صياد فقير

فذهل الملك من هذا الكلام وعَلَى الخصوص من هذه الجرأة والبساطة اللتين ينطق بهما هذا الشيخ كأَنهُ يتكلم مع واحد من امثاله ٠ واذ رآه رونسار عَلَى تلك الحالة قال اعذرني ايها الملك

اذا رأيت في كلامي ما لا يليق ذكره في حضرتك. فأنا رجل قديم العهد ولم أتكلم قط مع الملوك وليس لي وانا في هذه السن ان أتعلم اساليب الكلام معهم. فأنت في نظري انسان كسائر الناس وانا اخاطبك كما اخاطب سائر الناس

فتبسم الملك وقال — امضِ في حديثك ايها الشيخ الحكيم واعلم ان حرية الافكار لا تغيظ الاَّ العبيد والحمقى وانا والحمد لله لا أريد ان أُحسب في جملتهم مع اني مُحاط بجمهور غفير منهم. وانا وان كنت ملكاً الاَّ اني أُريد ان اكون انساناً مثلك ومثل سائر الناس. فقل الان ماذا كنتَ تفعل لو كنتَ انت الملك؟

قال — لو كنتُ ملكاً لاخترتُ اولاً اصدقاء ومعاونين من اهل الخبرة والصلاح والعلم الصحيح من وسط الشعب

قال — ونحن هكذا نفعل

قال — كلاَّ. فكبير الوزراء مثلاً ينتقي الوزراءَ الذين يريدهم وهو ان كان شريراً ومحباً للمال فانه لا ينتقي الاَّ من كانوا علَى شاكلته. ثم ان الانتخابات العمومية للمجالس لا تجري علَى محور الاستقامة والعدل. وجرائد البلاد قلما تبيّن الحقائق لانها لم تفهم حتى الان مركزها من الهيئة الاجتماعية. فكل جريدة منها لحزب من الاحزاب فهي تخدمه وتطرىء اعمالهُ لانه يجود عليها بالمال. وقد علمتُ ان لكبير الوزراء ولكاتم اسرار الدولة عدة جرائد من

هذا النوع . ثم اذا التفتنا الى المدارس نرى بينها عدداً وافراً مما لا يجاب للأُمة الاَّ الضرر المحض مثل مدارس بعض الرهبانيات التي تضغط عَلَى عقول الاحداث بدلاً من انمائها وتثقيفها بكل مفيد من التعاليم الصحيحة . والخلاصة ان الملك اذا اراد ان يكون ملكاً حقيقياً متصفاً بالانسانية المحضة فعليهِ ان يدرس اخلاق الامة ويطلع عَلَى احوالها ويكون كالطبيب الماهر في مداواة اسقامها وكالبطل الصنديد في ابعاد المضار عنها وكبح جماح ذوي الاثرة واصحاب المفاسد . ولا اكتمك ياحضرة الملك اني قد عرفت رجلاً من افراد رعيتك اسمه سرج طورد وهو ولئن كان فقيراً مثلي بيدَ انهُ بقوة حجتهِ وحسن استعداده قد قام بعمل مجيد لانه شرع في محاربة الشرور والمفاسد وتنوير الامة بواجباتها وحقوقها فأدرك بعض النجاح

قال — حقاً انك فيلسوف يارونسار ولكن لماذا لاتقوم انت لمقاومة هذه المفاسد والشرور ؟

قال — لقد قاومتها ياحضرة الملك طويلاً وكنت اودُّ مقاومتها في غير هذه البقعة حتى آخر نسمة من حياتي لولا غلوريا فانها قد هبطت عليَّ كبلسم سماوي لجراح قلبي فلاجلها انا أحيا الان ولاجلها بنيت هذا المنزل ولاجلها احببتُ ان يكون لي تأْثير عَلَى اهل الجزائر لاقتلع من بينهم الشحناء واربي فيهم السلام ومحبة الطبيعة والجمال